

حزب الله: الطريق إلى المحكمة

سيف دعنا*

بعد مرور أقل من ستة أشهر على الغزو الأميركي للعراق، والتدمير الوحشي الذي لحق به، نشرت مجلة «فورين أفيرز» التي يصدرها «مجلس العلاقات الخارجية» في الولايات المتحدة (عدد تشرين ثاني/كانون أول 2003) مقالة رئيسية بعنوان «هل يجب أن يكون حزب الله التالي؟». وبعد عامين تقريباً (نيسان 2005) نشرت المجلة ذاتها ما سمته «تحديناً» للمقالة السابقة، من جانب الكاتب نفسه (دانيال بيمن) بعنوان «معضلة حزب الله»، يناقش فيه استراتيجية التخلص من تأثير حزب الله وسلاحه، من خلال تركيز الضغط على سوريا، لكون الخيارات التدميرية غير ممكنة، وغير متاحة، كما ثبت بالتجربة. اهتمام «مجلس العلاقات الخارجية»، صاحب التأثير المهم في صنع السياسات، الذي يعود تاريخ تأسيسه إلى عام 1921، ومجلته التي تصدر كل شهرين، بحزب الله يتضح من مدى التركيز على الحزب في ما ينشر في المجلة. فبحسب محرك البحث في المجلة وحدها، هناك 178 مقالة، عنوان، تعليق، مراجعة كتاب، ورسائل للمحرر تتضمن ذكر الحزب. يكفي أن يتعرف القارئ على تاريخ مجلس العلاقات الخارجية، خلفية أعضائه وعضوية مجالس إدارته المتعاقبة، ومدى تأثيرهم في صنع السياسات، ويتصفح بعض المقالات (وبعض العناوين التحريضية والحربية، مثل مقالة بيمن السالفة الذكر) ليدرك أن حزب الله ليس مستهدفاً فقط، بل هو على رأس قائمة الاستهداف الأميركي.

غير أن «مجلس العلاقات الخارجية» ليس مركز الأبحاث الوحيد الذي يضع حزب الله في سلم أولوياته كما يبدو، وهو ليس أكثرها تطرفاً في كل الأحوال. ف«معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى»، الموالي تماماً لإسرائيل، الذي أسسه اللوبي الصهيوني (أيباك) في 1985 بواجهة مركز أبحاث توثقي «الموضوعية البحثية» ليبدو كأنه محصن من الانحياز لرؤية المؤسس والممول السياسية وغير ممثل لها، ينشط جدياً في استهداف حزب الله، ومحرك البحث الخاص بالمعهد، مثلاً، سيعطي 905 نتائج تتضمن كتباً، مقالات، وموضوعات (إما نشرها المعهد أو مؤسسات أخرى وأعاد المعهد نشرها) ذات علاقة بحزب الله، عناوينها ومضامينها أشد هجوماً من المادة التي يمكن قراءتها في مجلة «فورين أفيرز» بكثير. في 2004، مثلاً، صدر عن المعهد ما سمي «دراسة» عن قناة المنار لـ«أفي جويريتش» الباحث، سابقاً، في «معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى»، والعامل لاحقاً في ما يسمى «مؤسسة الدفاع عن الديمقراطية»، وهي مؤسسة مشابهة في توجهاتها وميولها الصهيونية، وتحولت الدراسة لاحقاً إلى كتاب بعنوان «منارة (فنار) الكراهية».

ومؤسسة الدفاع عن الديمقراطية، المؤسسة الصهيونية بامتياز، تذكر على صفحاتها أن من ضمن الإنجازات الناتجة من برنامجها أو مشروعها «التحالف ضد إعلام الإرهاب» - سي أي تي أم - أو «كاتم» - كما يليق اختصار الاسم - ما يلي: قرار وزارة الخارجية في 2004 بإضافة المنار وأذاعة النور والشركة الأم، المجموعة اللبنانية للإعلام، إلى لائحة الإرهاب، قرار المفوضية الأوروبية في 2005 باتهام المنار بمخالفة تعليمات مناهضة الكراهية، قرار وزارة الخزانة الأميركية بتصنيف المنار والنور والمجموعة اللبنانية للإعلام مؤسسات إرهابية عالمية، توقف عشر من ثلاث عشرة شركة أقمار صناعية عن استقبال المنار، وبالتالي توقفها عن البث في مناطق مختلفة من العالم، و«كاتم»، كما تقول، «تتعهد الاستمرار في العمل لإزالة المنار من الشركات الثلاث الباقية»، إقناع العديد من الشركات بوقف الإعلان على محطة المنار والتسبب في خسارة المحطة 12 مليون دولار، إقناع الحكومة الألمانية في 2006

بمنع المنار وفق مواد الدستور الألماني، الاتفاق في 2008 مع أكبر مزودي التسليح للفنادق الأوروبية لإزالة المنار وقناة الأقصى من أكثر من 2000 فندق، تقديم «كاتم» في 2009 مساعدة أدت إلى إدانة مالكي شركات توزيع القنوات الفضائية في نيويورك لتسويقهم قناة المنار. ومنذ 2004، كتب راسميون من «كاتم» ونشروا مقالات رأي مؤثرة جداً في دوريات وصحف رئيسية، وظهروا على مجموعة من وسائل الإعلام الرئيسية (المعرفة من يمول هذه الهجمة على حزب الله، انظر قائمة الداعمين لمركز حماية الديمقراطية على صفحة «سنتر فور أميركان بروغرس»، انظر أيضاً تعليق سنيف والت «من يدفع» على صفحة «فورين بوليسي» بخصوص الموضوع).

وجوريتش السالف الذكر هذا، يبدو معنياً على نحو خاص بشيطة الحزب عبر التركيز على الكتابة عن قناة المنار على طريقة ومنهجية السياسة التحريضية لما يسمى «معهد الشرق الأوسط لأبحاث الإعلام» (ميميري)، الذي يستهدف إسكات كل صوت عربي وتجرئمه (مؤسس ومدير هذا المعهد، يغال كارمن، لا يعرف بخلفية بحثية أو أكاديمية لا في موضوع الشرق الأوسط ولا في موضوع الإعلام، بل يعرف بكونه ضابطاً سابقاً في الاستخبارات الإسرائيلية (1968 - 1988)، ويكونه شغل منصب القائم بأعمال رئيس القسم العربي في ما يسمى «الإدارة المدنية» - أقرأ العسكرية - في الضفة الغربية (1977 - 1982). للمزيد عن تحريف ميميري انظر، مثلاً، بريان وايتكر: اختيارية ميميري الغارديان 12 آب/ أغسطس 2002). وليس بمحض الصدفة (على حد قول مظفر النواب) أن يترافق نشر مقالة وكتاب جوريتش عن المنار، مع قرار وزارة الخارجية الأميركية في كانون الأول 2004 بضم القناة إلى قائمة «الإرهاب»، بل هي جزء من حملة كبيرة كما يشير مشروع «كاتم»، وإتباع جوريتش لهذا القرار لاحقاً بمقالة «تلفزيون الإرهاب»، التي تدعو إلى أن يكون هذا الحظر مجرد البداية لا النهاية، ليس أيضاً مجرد تخاطر أفكار على ما يبدو اليوم.

والمتمعن لبعض المقالات التي تعمل جاهداً على شيطة حزب الله، سيدهش من مدى التشابه بين بعض عناوينها ومحتوياتها، وما يردده ويتداوله السياسيون المحليون والعرب المعادون للمقاومة من شعارات ومواقف، كأنهم يتلقون التوجيهات ذاتها، أو يتشاركون (بمحض الصدفة أيضاً) الاهتمامات ذاتها مع مراكز الأبحاث ذات الميول الصهيونية (مثلاً «نزع سلاح حزب الله: تعزيز استقرار المنطقة»، فورين أفيرز، كانون الثاني 2010، «طابور (ضوءاء) السكود: لماذا سيبقى حزب الله مسلحاً وخطيراً»، فورين أفيرز، أيار 2010، «حكومة الظل في لبنان: كيف يربح حزب الله حتى حين يخسر»، فورين أفيرز، أيلول 2009).

اللافت أيضاً أن تصاعد تلك الحملة على حزب الله جاء في أعقاب 2001 وأحداث أيلول. ففي الوقت الذي كان ربما سيبدو منطقياً أن يتركز الاهتمام الأميركي على القاعدة (لا المسلمين والعرب كما حصل في بلاد القانون والعدالة)، وصف وزير الخارجية الأميركي آنذاك، كولن باول، حزب الله بـ«الفريق الإرهابي الرقم واحد»، حسب ما ذكر مقدم حلقة خاصة من «ستين دقيقة»، عن حزب الله على محطة «سي بي إس». وهذا توصيف رده نائب باول لاحقاً، ريتشارد أرميتاج، مراراً، مضيفاً أن «القاعدة هي الفريق الرقم اثنان». هذا التوصيف لحزب الله هو في الحقيقة توصيف إسرائيلي أو «اتهام إسرائيلي بلسان أميركي»، كما أشار السيد نصر الله (ستين دقيقة: 20 نيسان 2003). والهم الإسرائيلي، كما يبدو، كان منصباً على استغلال ردات الفعل على هجمات أيلول، وتسخيرها ضد عدوه الأول حزب الله، وتساوق معه في ذلك كل من يطمع في الرضى



تخريج طلاب من حزب الله (الرشيف - هيثم الموسوي)

الهم الإسرائيلي كان منصباً على استغلال ردات الفعل على هجمات أيلول 2001 وتسخيرها ضد حزب الله

الصهيوني من السياسيين الطامحين المدركين لتأثير «أيباك».

ومن الذين تبنوا التحريض الصهيوني على حزب الله حينها، طمعاً بالرضى الصهيوني، كان السيناتور بوب غراهام، الذي شارك في الحلقة ذاتها من برنامج «ستين دقيقة» (نص الحلقة موجود في كتاب نيكولاس نو «صوت حزب الله» ص 287 - 293). غراهام ذلك، صاحب الطموحات الرئيسية الخائبة حينها، وفي أوج الحرب على العراق والبحث عن أسلحة الدمار الشامل المزعومة، أكد للمشاهدين ما يلي: «لو كان السؤال: هل يمثل صدام حسين أم حزب الله خطراً أكبر على الناس في الولايات المتحدة؟ جوابي سيكون: لا شك أن حزب الله هو الخطر الأكبر» (المصدر السابق: ص 288). إذاً، بعد مئات المقالات والخطابات والبرامج والحملات الإعلامية المسعورة والتحريضية التي سبقت الحرب على العراق، ومهدت لها واستهدفت تزوير الوعي الأميركي والعالمي، بعملها على التأثير بقوة في الخطاب العام وشيطة العراق لتبرير غزوه وتدميره الهجمي، يحرض السيناتور غراهام على حزب الله بادعائه أنه يمثل خطراً أكبر من هذا «الوحش» العراقي الذي «يمتلك» أسلحة دمار شامل، ولن يتردد في استخدامها أو تمريرها للإرهابيين، كما زعمت الدعاية الحربية آنذاك.

يمكن انتقاد والاختلاف مع فرضية كتاب سنيف والت وجون ميرشايمر في «اللوبي الإسرائيلي» من ناحية المبدأ. فهناك ما هو أبعد من «اللوبي» حقاً لتفسير العلاقة الأميركية -

الإسرائيلية الخاصة (مثلاً، علاقة اقتصادية - سياسية، أو دور اقتصادي - سياسي وعسكري تؤديه إسرائيل نيابة عن الإمبراطورية، التماثل في النموذج الكولونيالي، فكل منهما مستعمرة استيطانية نقيية تقوم على مبدأ استبدال شعب بشعب وثقافة بثقافة وتاريخ بتاريخ، التشابه في الوعي الجمعي السائد، ففي كل منهما يسود وعي المستوطن الأوروبي الأبيض). الأهم أن من يحكم أميركا حقاً هو نخبة أو طبقة حاكمة، لا مجموعة من اللوبيات، إلا إذا أفترضنا أن أميركا مجتمع لا طبقي، كما تصوّر فرضية اللوبي. لذلك فإسرائيل، في نهاية الأمر، مستعمرة أميركية، لا العكس. لكن زعمهما في «اللوبي الإسرائيلي» أن اللوبي ليس محصوراً بمنظمات مثل «أيباك» فقط، وليس باليهود فقط، بل يشمل غير اليهود أيضاً، كما يشمل مراكز الأبحاث الممولة جيداً التي تعمل للهيمنة على الخطاب العام والسياسة الخارجية، يفسر حقاً الكثير من أنشطة مراكز الأبحاث.

بإمكان من يريد، أن يزعم ما يريد بخصوص «طهارة» العدالة الدولية و«موضوعية» الرجل الأبيض، لكنهم لن يستطيعوا تفسير التمييز والعنصرية المفرطة في «نظام العدالة» الأميركي ذاته، اللذين يعرفهما كل أبناء وبنات الأقليات العرقية والأثنية، وتوقفاً الباحثون الأميركيون بكثافة، في بلاد بدأ التمييز والعنصرية فيها منذ صياغة النسخة الأولى لدستور كتبه ملك العبيد. مآل شُرِعوا في نسخة الدستور الأولى استبعاد البشر وقونوا الاتجار بهم. تلك اللحظة التأسيسية لأميركا أسهمت لاحقاً في إنشاء المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي نراها اليوم، لتجعل من العنصرية والتمييز طريق حياة وطريقة تفكير وجزءاً من الروتين وعمل المؤسسات.

لكن هناك من يدعي أن «العدالة الدولية» هي حقاً دولية، لا أميركية - صهيونية، وموجودة فعلاً في فراغ حيث لا سياسة ولا مصالح ولا أيديولوجيا ولا دور وأهمية للترتيبات

الزخار

تأسست عام 1953
تصدر عن شركة «أخبار بيروت»

رئيس التحرير إبراهيم الأمين ■ نائب رئيس التحرير خالد صافية ■ مدير التحرير إيلي شلهوب، بيار أبي صعب ■ سكرتير التحرير وفيفي قاصوه ■ العالم بشير البكر ■ اقتصاد محمد زبيب ■ وحدة الأبحاث عمر نشابة ■ المدير الفني إميل منعم

رئيس مجلس الإدارة والمدير المسؤول إبراهيم الأمين ■ المكاتب بيروت - فزاد - شارع دونان - سنتر كوتجورد - الطابق السادس ■ تليفون: 01759597 01759500 ■ ص ب 5963/113 ■ www.al-akhbar.com

الاعلانات Tree Ad 03/252224-01/61115 ■ التوزيع شركة الواك 03/828381-01/666314.15